

العسكرية الفلسطينية يتطلب تقييم المنهج الذي يوجهها على كل مستوى تكتيكي وعملياتي واستراتيجي، قبل تقييم النواحي الفنية والتنفيذية.

يتضح على الفور أن مناقشة استراتيجية وأهداف حركة المقاومة الفلسطينية هي مسألة سياسية، فما هي، إذاً، ضرورة مناقشة الممارسة العسكرية في هذا السياق؟

تشهد الساحة الفلسطينية تداخلاً شديداً بين العوامل السياسية والعسكرية لا تعرفه أية حركة مسلحة معاصرة أخرى، نظراً إلى تعقيد الوضع العربي وحالة التشتت الجغرافي الفلسطيني، إلى حد أن مجرد بيان سياسي تصدره قوة اقليمية أو دولية رئيسية يمكن أن يأتي بعواقب جسدية على الحركة الفلسطينية؛ مما يعني أن كل تحرك سياسي، أو حتى دبلوماسي، سينعكس على الأرض عسكرياً. ويظهر في المقابل، أن كل اختيار للتكتيكات أو الاستراتيجية العسكرية سيأتي بانعكاسات سياسية ودلالات فكرية وأخلاقية. فيتسم تقييم الممارسة العسكرية بأهمية حيوية بالنسبة إلى مناقشة القضايا السياسية لحركة المقاومة الفلسطينية.

لقد أدت ظروف الشعب الفلسطيني بين ١٩٤٨ و١٩٦٧ إلى فقدان الهوية الوطنية والتشتت السياسي والتنظيمي، مما جعل من إعادة الهوية وبلورة المواقف السياسية هدفاً حيوياً للحركة الفدائية الناشئة. وقد قدمت هذه الحركة المثال في اعتناق عقيدة الكفاح المسلح وفي تنفيذ العمليات العسكرية، منذ بداية العام ١٩٦٥، مما أتاح انجاز الهدف المذكور وأتاح إعادة الشعب الفلسطيني إلى الخارطة السياسية الدولية كما تبين من خلال سلسلة الاختراقات الدبلوماسية في السبعينات واولئل الثمانينات. وأدى هذا التطور التاريخي إلى الاستنتاج المنهجي أن الانجاز العسكري الفلسطيني يقاس بالمردود السياسي والمعنوي وليس بمعايير جامدة كعدد الشهداء أو الإعداء القتل أو كمساحة الأرض المفقودة أو المسترجعة. وأذ يصح هذا الاستنتاج كلياً، إلا أنه لا يلغي أهمية تطوير الممارسة العسكرية كي يتنامى المرردود السياسي. فيجب اكتشاف الحد الفاصل، الدقيق، بين إدراك غلبة الحساب السياسي على المرردود العسكري عند تقييم الأداء العسكري الفلسطيني، وبين عدم الاقرار بأهمية التأثير المتراكم، سلباً أم ايجاباً، لمستوى التنفيذ الميداني ولحصلة الأداء التكتيكي والتقني على المرردود السياسي العام.

يؤدي الالتباس حول تحديد المعايير لقياس الأداء العسكري وحول تحديد التوازن الصحيح بين المرردود السياسي والعسكري، إلى عدة أخطاء منهجية، فيشيع خطأ مفاده انتقاد تلك العمليات العسكرية الفلسطينية التي تهدف، تحديداً، إلى تحقيق نتيجة سياسية أو دبلوماسية أو معنوية أو إعلامية فورية معينة - كالعمليات الاستعراضية أو التي تنفذ بمناسبة محددة للتذكير بوجود الشعب الفلسطيني أو عرقلة تحرك دبلوماسي معارٍ ما أو التعبير عن التمسك بأسلوب الكفاح المسلح - وكأن تلك العمليات لا يمكن لها أن تجسد استخداماً فاعلاً للاداة العسكرية ضمن المجموعة الواسعة والمتنوعة للاشكال النضالية. ويرافق هذا الخطأ الميل إلى تقييم الممارسة العسكرية الفلسطينية من خلال معايير تقنية جامدة لا تأخذ في حسابها الخصوصيات السياسية والتاريخية للحالة الفلسطينية، كالمقارنة بتجارب حرب العصابات السوفياتية، والصينية، والفيتنامية، والكوبية، أو اللجوء إلى حسابات أعداد القتلى والآليات المعطلة وما شابهها. إن من يرتكب هذين الخطأين يسيء فهم حقيقة تشابك العوامل السياسية والعسكرية ومدى التأثير المتبادل فيما بينها، وينسى أن